مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١كورنثوس ٨: ٨–١٣؛ ٩: ١–٣)

يا إخوةُ إنَّ الطعامَ لا يُقرِّبُنا إلى الله لأنَّا إن أكلنا لا نـزيـدُ وإن لـم نـأكُـلْ لا ننقُصُ* ولكن انظُروا أن لا يكونَ سلطانُكم هذا معثَرَةً للضعفاءِ* لأنَّه إن رآكَ أحدٌ يا مَن له العلمُ متَّكِئاً في بيتِ الأوثانِ أفلا يتقوَّى ضميرُه وهو ضعيفٌ على أكلِ ذبائحِ الأوثانِ* فيهلِكَ بسببِ علمِكَ الأخُ الضعيفُ الذي ماتَ المسيحُ لأجلِه* وهكذا إذ تُخطِئون إلى الإخوةِ وتجرَحون ضمائرَهم وهي ضعيفةٌ إنَّما تُخطئون إلى المسيحِ* فلذلك إن كان الطعامُ يُشكِّكُ أخي فلا آكُلُ لحماً إلى الأبدِ لئلاَّ أُشكِّكَ أخي* ألستُ أنا رسولاً. ألستُ أنا حرًّا. أمَا رأيتُ يسوعَ المسيحَ ربَّنا. ألستُم أنتم

يا رب متى رأيناك...؟

يا رب متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو عرياناً أو مريضاً أو محبوساً ولم نخدمك؟ هذا السؤال يطرحه الأخيار والأشرار معاً على الرب. كلاهما يعترف به رباً وكلاهما يبدو كأنه لم يره أبداً. وعبارة «متى» تعني أن السائل أمضى العمر كله ولم يلتقِ الرب أبداً. لم يصادفه في أي زمان أو مكان.

جواب الله عن سؤال الأخيار والأشرار يماهي بين الله والإنسان. ما فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموه. هذا يعني: أن الإنسان لكونه على صورة الله ومثاله يبقى مثله متسربلاً بسرّ جوهره. فلو سأل كلّ منا نفسه قائلاً: مَن هو الإنسان؟ سيواجه سرًّا رهيباً لا جواب له. هذا يعني أن في كل إنسان جانباً سرّياً، لأن في كل إنسان صورة المجد الإلهي ومسحة من قداسته. الله يوازي نفسه بصغار القوم والمنبوذين منهم، هذا هو السرّ الذي يبقى أكبر من الفهم وفوق كل إدراك عقلي.

على رجاء هذا الفهم يصرخ الإنسان متوسلاً اللقاء بالله. في الليل وفي النهار إليك صرخت يا رب فلتبلغ إليك صلاتي. والله يجيب: ستجدني حيث أقيم. من على عرش مجدي أقبل صلاتك وأستجيب. والمؤمن يفهم أن القلب هو مسكن الله، «لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك» (متى ٦: ٢١). سرّ الإنسان في قلبه يسكن. وكأن الله كنز يقتنيه الإنسان الترابي. والتراب يتوسّل اقتناء الكنز والصلاة.

العدد ٦/٢٠١٠
الأحد ٧ شباط
أحد مرفع اللحم (الدينونة)
تذكار القديس برثانيوس أسقف، لمبساكن، والبار لوقا الذي كان في استيريون من بلاد اليونان
اللحن الثاني
إنجيل السَحَر الثاني

سنتحدث اليوم عن صلاة محددة كثيراً ما نرددها: «أيها الملك السماوي المعزي روح الحق الحاضر في كل مكان والمالئ الكل، كنز الصالحات ورازق الحياة هلمّ واسكن فينا وطهّرنا من كل دنس وخلّص أيها الصالح نفوسنا».

ما معنى هذه الكلمات؟ كيف نعيشها؟ هل نستوعب من كل عقلنا وفكرنا أن الله وحده هو كنزنا الحقيقي لأنه كنز الصالحات؟ هل ندرك عظمة السر، كيف أننا ندعو المالئ الكل ليسكن التراب وليصبح كنزاً في آنية خزفية؟ هل يتخيل عقلنا مقدار جرأة الطلب وخطورة نتائجه؟ هل أننا نشتهي فعلاً، من كل نياتنا ومن كل قلوبنا من الروح القدس، وهو القوة المحيية، أن يسكن فينا؟ هل سنسمح له بأن يُطهّرنا من كل

عملي في الربّ* وإن لم أكُنْ رسولاً إلى آخرين فإنّي رسولٌ إليكم. لأنَّ خاتَمَ رسالتي هو أنتم في الربّ.

الإنجيل

(متى ٢٥: ٣١–٤٦)

قال الربُّ متى جاءَ ابنُ البشرِ في مجدهِ وجميعُ الملائكةِ القديسين معه فحينئذٍ يجلسُ على عرشِ مجدهِ* وتُجمَعُ إليهِ كلُّ الأُمم فيميّزُ بعضَهم من بعضٍ كما يميّزُ الراعي الخرافَ من الجداءِ* ويُقيم الخرافَ عن يمينهِ والجداءَ عن يسارِه* حينئذٍ يقولُ المَلِكُ للذينَ عن يمينِه تعالَوْا يا مباركي أبي رِثوا المُلكَ المُعَدَّ لكم منذ إنشاءِ العالَم* لأنّي جُعتُ فأطعمتموني وعطِشتُ فسقيتموني وكنتُ غريباً فآويتموني* وعُرياناً فكسَوتموني ومريضاً فعُدْتُموني ومحبوساً فأتيتم إليَّ* حينئذٍ يُجيبه الصِدّيقون قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً فأطعَمناك أو عطشانَ دنس؟ هل يكون هذا ممكناً بصورة فعلية؟

«أطلبوا تجدوا» (متى ٧: ٧)، يقول الرب. قد يكون الإنتظار طويلاً وقد يأتي فجأة لأن الروح يهبّ حيث يشاء ومتى يشاء. ولكن حتى في الانتظار فرح استباق اللقاء. في لحظات الإنتظار يخفق القلب مضطرباً وجلاً. ولكن في نفس الوقت ينتظر الإنسان الروح بفرح وشوق. قد لا يفهم الكثيرون منا مَن هو الروح القدس وما هو دوره. في أعمال الرسل نقرأ أن بولس الرسول سأل أهل أفسس: «هل قَبلتُم الروحَ القدسَ لمَّا آمنتم؟ قالوا له ولا سمِعنا أنَّه يوجدُ الروحُ القدسُ» (١٩: ٢).

في الحقيقة لن نعرف مَن هو ولن نفهم دوره، ما لم نسمح له بأن يحلّ فينا. ومتى حلّ فينا هو يعلّمنا كل شيء ويقول لنا كل شيء («وأمَّا متى جاءَ ذاكَ روحُ الحقِّ فهو يُرشِدكم إلى جميعِ الحقِّ لأنَّه لا يتكلَّم من نفسه بل كلُّ ما يسمع يتكلَّم به ويُخبِركم بأمورٍ آتية» (يو ١٦: ١٣)). من مواهبه الغَزيرة تثمر أعمالنا وبفعله العجيب نتكلّم لغة السرّ العظيم فيفهمها الأطفال بعد أن تكون قد حُجبت عن الحكماء لأنه هو روح الحكمة والفهم. كل كلام في الإلهيات من دون الروح القدس يبقى نظرياً.

بالروح القدس كل نفس تحيا وتتحرك، ملتهبة ولامعة بنور المواهب الإلهية الساطعة. من يقبل أن يعمل الروح القدس فيه لا يجد شيئاً مستحيلاً. حتى العجائب تصبح بديهية وطبيعية لأن الروح هو الصانع العجائب. كلنا أخذنا لروح القدس بالمعمودية وتسربلنا جلة المجد. أليس غريباً أن نُبقي الروح القدس غريباً عن حياتنا ومجهولاً منا؟ المسيحي مدعوّ إلى القداسة لأن القدوس ساكن فيه. ومن يتعجب قائلاً إن القداسة شأن القلة من المختارين وهي تظهر في عجائب القديسين، أكاد أجيبه بأن العجب هو أننا لم نفهم حتى الآن أننا نحن أيضاً قادرون وبصورة طبيعية أن نصنع العجائب لو دعونا الروح القدس من كل قلوبنا ليعمل فينا.

المسيحي تراب يقتني الله كنزاً ويتحرك بنعمة الروح المعطي الحياة والموزع المواهب. («ولكن لنا هذا الكنز في أوان خزفية ليكون فضلُ القوة لله لا منا» (٢ كور ٤:٧)) ذلك هو سرّه، تلك هي عظمته. ببساطة المحبة المستنيرة بالحكمة والفهم وبقوة الروح، يصنع العجائب. وخلاصة الفهم أنّ الآخر هو قريبي، هو أخي، هو سرّ حامل المجد الإلهي. متى تخطت محبتي له الشعور العاطفي لتصبح فعلاً وحضوراً، خدمة وشهادة، تظهر عجائب الله في قديسيه، بهم يستقر وفيهم يستريح، له المجد والسبح المثلث التقديس إلى منتهى الدهر.

النبي زخريا

تعيّد كنيستنا المقدسة للنبي زخريا في الثامن من شهر شباط، وهو صاحب النبوءة الحادية عشرة من نبوءات الأنبياء الصغار الإثني عشر. اسمه يعني «الرب ذكر» وهذا المعنى يتناسب مع فحوى نبوءته بأن الرب ذكر شعبه المسبي في بابل.

تنبأ النبي زخريا في عهد الملك داريوس، وتضمنت نبوءته أربعة عشر فصلاً مقسَّمة إلى قسمين. في القسم الأول دعوة إلى التوبة وثماني رؤى ومواضيع أخرى منها صوم الشعب ورسم آفاق جديدة للخلاص. أما القسم الثاني فيحوي جملة نبوءات عن هلاك أعداء الله ومجيء المسيح ويوم الرب وهداية الأمم وبهاء مدينة الله أورشليم.

فسقيناك* ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عُريانا فكسوناك* ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك* فيُجيبُ الملكُ ويقولُ لهم: الحقَّ أقول لكم بما أنَّكم فعَلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاءِ الصغارِ فبي فعلتموهُ* حينئذٍ يقول أيضاً للذين عن يساره إذهبوا عنّي يا ملاعينُ إلى النارِ الأبديَّةِ المُعَدَّةِ لإبليسَ وملائِكَتِه* لأنّي جُعتُ فلم تُطعِموني وعطِشتُ فلم تَسقوني* وكنتُ غريباً فلم تُؤووني وعُريانا فلم تَكسوني ومريضاً ومحبوساً فلم تَزوروني* حينئذٍ يُجيبونهُ هم أيضاً قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً أو عطشانَ أو غريباً أو عُرياناً أو مريضاً أو محبوساً ولم نَخْدِمْكَ* حينئذٍ يُجيبُهم قائلاً الحقَّ أقولُ لكم بما أنَّكم لم تفعلوا ذلك بأحدِ هؤلاءِ الصغار فبي لم تفعلوهُ* فيذهبُ هؤلاءِ إلى العذابِ الأبدي والصدّيقونَ إلى الحياةِ الأبديَّة.

من أبرز ما ورد في النبوءة في قسمها الأول، الحثّ على التوبة: «ارجِعوا إليَّ، يقولُ ربُّ الجنودِ فأَرجِعَ إليكم... لا تكونوا كآبائِكم الذين ناداهم الأنبياءُ الأوَّلون... فلم يسمعوا ولم يُصغوا إليَّ» (١: ٣–٤). هذه الدعوة إلى التوبة مقرونة بسكنى الرب في وسط الشعب وباعتماد الشعب على الرب فقط. فالله هو الذي يعود إلى أورشليم بالمراحم «بيتي يُبنى فيها» (١: ١٦) فتفيض المدن خيراً من جديد. ولم يعد هناك حاجة إلى أسوار تحمي المدينة لأن الله نفسه سيكون سورها ويسكن في وسطها: «وأنا، يقولُ الربُّ، أكونُ لها سورَ نارٍ من حولها وأكون مجداً في وسطها» (٢: ٥). الرب يحفظ شعبه ويغار عليه لذلك يخاطبهم ويطمئنهم بقوله: «مَن يَمَسُّكم يَمَسُّ حدَقَةَ عينِهِ» (٢: ٨).

تأتي المبادرة في نبوءة زخريا من قِبَل الرب، فهو المبادر الأول وهو الذي يرحم شعبه ويزيل إثمه، ويعبِّر عن ذلك من خلال تغيير لباس رئيس الكهنة يهوشع: «وكانَ يهوشعُ لابساً ثياباً قذِرَة وواقفاً قدَّامَ الملاكِ، فأجاب وكلَّم الواقفينَ قدَّامه قائلاً: انزِعوا عنه الثيابَ القذِرةَ. وقال له انظر، قد أذْهَبتُ عنك إثمَك، وأُلبِسُك ثياباً مُزخرفةً» (٣: ٣–٤). بالمقابل على رئيس الكهنة الذي يمثّل الشعب، وعلى الشعب نفسه أن يسلك وفق فرائض الله: «هكذا قال ربُّ الجنودِ: إن سلكتَ في طُرقي، وإن حفِظتَ شعائري، فأنت أيضاً تدينُ بيتي، وتحافظ أيضاً على ديارِي، وأُعطيكَ مسالِكَ بين هؤلاءِ الواقفينَ» (٣: ٧)، «هكذا قال ربُّ الجنودِ قائلاً: اقضوا قضاءَ الحقِّ، واعمَلوا إحساناً ورحمةً، كلُّ إنسانٍ مع أخيهِ. ولا تظلِموا الأرملةَ ولا اليتيمَ ولا الغريبَ ولا الفقيرَ ولا يفكِّرْ أحدٌ منكم شرًّا على أخيهِ في قلبكم» (٧: ٩–١٠)، «هذهِ هي الأمورُ التي تفعلونها. ليكلِّمْ كلُّ إنسانٍ قريبهُ بالحقِّ. اقضوا بالحقِّ وقضاءِ السلامِ في أبوابكم، ولا يُفكِّرَنَّ أحدٌ في السوءِ على قريبهِ في قلوبكم. ولا تحبُّوا يمينَ الزُّورِ. لأنَّ هذه جميعها أكرهها، يقول الرب» (٨: ١٦–١٧).

ويذكر زخريا في نهاية القسم الأول من نبوءته آفاق الخلاص الآتي حيث يقول الرب أن كل الشعوب ستسير وراء شعب الله قائلين: «نذهب معكم لأنَّنا سمِعنا أنَّ اللهَ معكم» (٨: ٢٣).

أما في القسم الثاني فإن أولى سمات المسيح الآتي هي التواضع والوداعة: «ابتهجي يا ابنةَ صهيون اهتُفي يا بنتَ أورشليمَ. هوذا ملِكُكِ يأتي إليكِ عادلٌ ومنصورٌ وديعٌ، وراكِبٌ على حمارٍ وعلى جحشٍ ابن أتان» (٩: ٩). متى الإنجيلي يستشهد بهذا القول ليصف طبيعة دخول الرب يسوع إلى أورشليم (٢١: ٥). دخول المسيح إلى المدينة المقدسة، على هذه الصورة، إيذان بعهد جديد يسوده السلام: «وأقطعُ المركبةَ من أفرايمَ والفرسَ من أورشليمَ وتُقطعُ قوسُ الحربِ. ويتكلَّمُ بالسلامِ للأمَمِ» (٩: ١٠). صورة المسيح المتضع هذه تعكس في ذاتها الصورة التي يجدر بالشعب أن يكون عليها.

يصف زخريا في الإصحاح الحادي عشر كيف بخَس الشعب حق إلهه. فإنه رعاهم بالصالحات فلم يفهموا ولم يقبلوا. وإذ شاء أن يبيّن النبي مكانة إلههم عندهم سأل منهم أجرته كراعٍ فاتضح لا ظلمهم له وحسب بل سخريتهم منه واحتقارهم له أيضاً: «فقلتُ لهم: إن حسُنَ في أعيُنِكم فأعطوني أُجرتي وإلاَّ فامتنِعوا. فوَزنوا أُجرتي ثلاثينَ من الفِضَّةِ» (١١: ١٢)،

تأمل

الرحمة هي ملكة الفضائل. «الإنسان هو شيء عظيم ولكنّ الإنسان الأهم على الإطلاق هو الإنسان الرحيم» يقول سليمان (أم٢٠:٦). عظيمة هي أجنحة الرحمة، تشقّ الهواء، وتعبر القمر وتترك الشمس وراءها وتصل إلى السموات، لكنها لا تقف هناك، بل تعبر السماء أيضاً وتخترق القوى الملائكية وتأتي إلى أمام عرش الرب. أعلم ذلك من الكتاب المقدس حيث ذلك الملاك الذي ظهر لقائد المئة الورع والرحيم كورنيليوس قائلاً له: «صلواتك وصدقاتك صعدت تذكاراً أمام الله» (أع ١٠: ٤)، ماذا يعني هذا؟ أنه وإن كانت لديك خطايا كثيرة، فالرحمة تدافع عنك عند الله، ولا تخف إذ ما من قوةٍ تستطيع مواجهتها؛ فهي لديها سند في يديها وتطلب إيفاء الدَيْن، لأنّ المسيح نفسه قال: ما فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي قد فعلتموه (أنظر مت ٢٥: ٤٠)؛ وإن كانت لديك خطايا كثيرة، فإنّ رحمتك تالياً هي اقوى منها وتقاومها كلّها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

ووجه السخرية في هذا الأجر أنه ثمن عبدٍ نطحه ثور (خر٢١: ٣٢). وهو أيضاً الثمن الذي سُلِّم الرب يسوع لقاءه (متى ٢٧: ٣–١٠).

كما يصوّر لنا زخريا المسيح المطعون: «فينظرونَ إليَّ الذي طعنوهُ، وينوحون عليه كنائح على وحيدٍ له» (١٢: ١٠)، «فيقولُ له: ما هذه الجروحُ في يديك؟ فيقول: هي التي جُرِحتُ بها في بيتِ أحبّائي» (١٣: ٦). وقد أشار يوحنا الإنجيلي إلى هذا النص عندما طُعن الرب يسوع على الصليب (يو ١٩: ٣١–٣٧).

هكذا بدت في نبوءة زخريا صورة المسيح الراعي بعد طعنه: يصير موضع شك وتتبدّد خراف الرعية: «اضرب الراعيَ فتتشتَّت الغنم» (١٣: ٧).

غير انه في اليوم الأخير سوف يكون الرب ملكاً على الأرض كلها (١٤: ٩) وسيكون ذلك اليوم يوماً لا ليل فيه ولا ظلام بل نور (١٤: ٦–٧) «ويكون الرب ملكاً على كلِّ الأرض. في ذلك اليوم يكونُ الربُّ وحده واسمه وحده» (١٤: ٩–١٠).

محاضرات

بمناسبة الصوم المبارك تدعو رعية كنيسة القديس نيقولاوس – الأشرفية لحضور سلسلة المحاضرات التالية التي ستقام عند الساعة السابعة من مساء كل خميس من أسابيع الصوم المبارك، بعد صلاة النوم الكبرى.

+ الخميس ٢٥ شباط ٢٠١٠

«الزواج المسيحي» لسيادة المطران افرام مطران طرابلس والكورة وتوابعهما.

+ الخميس ٤ آذار ٢٠١٠

محاضرة لقدس الارشمندريت بندلايمون (فرح)

+ الخميس ١١ آذار ٢٠١٠

«سلام الرب بيسوع المسيح» للأم مريم (زكا)

+ الخميس ١٨ آذار ٢٠١٠

صاحب السيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس

الإيمان الكبير والبساطة

«إن آباء ذلك العصر (الآباء الذين جاؤوا قبل الآب بابيسيوس)كانوا ذوي إيمان كبير وبساطة والعدد الأكبر منهم كان قليل العلم. لكن بما كان عندهم من تواضع وروح جهادية كانوا يقتبلون الإستنارة الروحية...

عندما كنت في دير اسفغمانو كان قد أخبرني الشيخ التقي دوروثاوس أنه كان يأتي إلى المأوى شيخ للمساعدة. وكان ذا بساطة كبيرة لدرجة أنه اعتقد أنّ الصعود Analipsis (الكلمة في اليونانية مؤنث) الذي يعيّد له الدير كان قدّيسة عظيمة كالقديسة بربارة. وبينما كان يصلي المسبحة كان يقول: «يا قديسة الله تشفعي فينا»! ذات يوم أتى المأوى أخ مريض وما وُجد عندهم حينئذٍ أيّ طعام مغذٍ فنزل ذاك الشيخ سريعاً جداً السلّم وذهب إلى القبو ومن تلك النافذة الصغيرة المطلة على البحر مدّ يديه وقال: «يا قديسة الله الصعود أعطني سمكة للأخ». ويا للعجب فقد قفزت سمكة كبيرة بين يديه. فأخذها بشكل طبيعيّ وكأن شيئاً لم يكن وبفرح جهّزها وقدّمها ليشدّد الأخ».

الأب بابيسيوس الآثوسي

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb